



- | -

ما فرض نجاح، أو فشل، المفاوضات الإيرانية - الأميركية؟

المعطيات الأولية، كما أشرنا، إيجابية. فالرئيس الإيراني روحاني تعهد في مقال نشرته "واشنطن بوست" (20 أيلول سبتمبر) بأن يُجري مع الغرب مقاربة جديدة أطلق عليها اسم "الانحراف البناء". والرئيس الأميركي أوباما "يتشوّق" لأي تسوية مع إيران تساعد على تجنب الكابوس الذي يُورق نومه منذ أن دخل البيت الأبيض قبل خمس سنوات: الوقع في فخ حرب جديدة في الشرق الأوسط.

فضلاً عن ذلك، تلعب الضائقة الاقتصادية الكبرى التي تمر بها إيران هذه الأيام بسبب العقوبات الدولية والغربية، حيث انخفضت قيمة الريال بأكثر من 60 في المئة خلال الأشهر الستة الماضية وارتفعت معدلات البطالة والتضخم إلى مستويات شاهقة، دوراً كبيراً في الليونة الإيرانية المفاجئة.

وهذا أساساً مادفع مرشد الثورة الإسلامية علي خامنئي إلى لجم الحرس الثوري الإيراني عن التدخل في الانتخابات الرئاسية الأخيرة (كما فعل العام 2009)، وإلى الافصاح علناً للمرة الأولى (في 16 أيلول الحالي) عن استعداده لابدء "المرونة الشجاعة" في المفاوضات النووية مع إيران.

ويفاصل هذا التغيير في الموقف الإيراني تغيير موازٍ في الموقف الأميركي، حيث ثبتت إدارة أوباما طيلة السنوات الخمس الأخيرة أن أولوياتها القصوى تكمن في إصلاح البيت الداخلي الأميركي وفي الاستدارة شرقاً نحو شرق آسيا.

وهذا ما جعلها تتخذ موقفاً انسحابية من كل قضايا الشرق الأوسط تقريباً، من مصر والعراق وتونس إلى سوريا مؤخراً. كنا أن هذا ما جعل القيادة الإيرانية تشعر بشيء من الطمأنينة بأن واشنطن ربما لم تعد تسعى إلى تغيير النظام الإيراني.

- || -

بيد أن روحاني وأوباما ليسا اللاعبين الوحدين في هذه الرقصة الكبرى الجديدة في الشرق الأوسط. إذ هناك في داخل كلا البلدين قوى أساسية يجب أن توافق أولاً على أي اتفاق: صقور الكونgres الأميركي الموالين بقوة للوبي اليهودي، وصقور الحرس الثوري الإيراني الممثلين بـ"فيلق القدس" القوي والنافذ.

وإلى هذه القوى، هناك إسرائيل التي قد يدفعها أي اتفاق لاترى فيه أهدافها وقد تحقق، وفي مقدمها منع إيران من امتلاك

المعرفة النووية العسكرية وانتاج اليورانيوم المخصب، إلى توجيهه ضربة عسكرية لإيران لاجهاض الاتفاق.

وهناك السعودية ودول الخليج، التي تشعر بقلق شديد من احتمال ولادة كوندومينيوم (حكم مشترك) إيراني- أمريكي على حسابها.

كما هناك تركيا التي تسعى هي الأخرى لأن تكون زعيمة الغالبية السنّية في الشرق الأوسط والعالم الإسلامي، وبالتالي تريد أن تكون حاضرة بقوة في إعادة تنظيم جديدة لنظام الشرق الأوسط.

وفي هذا السياق، تبدو "الصفقة الكبرى" الإيرانية- الأمريكية التي لطالما تحدث الكثيرون عنها، مشروعاً أو على الأقل بعيد المدى ويحتاج إلى إجماع أو شبه إجماع بين القوى الإقليمية الرئيسية في المنطقة، مضافاً إليه الآن النفوذان الروسي والصيني اللذان تناهيا بفعل العجز والتعثر الأميركي الأخير في الأزمة السورية.

- III -

بيد أن هذا لا يمنع وصول إيران وأميركا إلى "صفقات صغيرة" عديدة يبدو أن الطرفين مستعدان لإبرامها؛ من الحرب الأهلية السورية، ومستقبل دور حزب الله اللبناني في سوريا ولبنان، إلى الحرب المشتركة ضد الإرهاب والتطرف.. الخ.

وهذا ما ألمح إليه روحاني حين قال أنه يتعمّن على إيران والغرب تغيير وجهة مسار مفاوضاتهما: من مقاربة مالتريده للأطراف المعنية إلى ماتريده.

أما الصفقة الكبرى نفسها، فيجب أن تنتظر وضع الملف النووي الإيراني الشائك ومعه العقوبات الاقتصادية الغربية على إيران على سكة الحل الحقيقي، كجزء من نظام إقليمي أمني- استراتيجي جديد في كل الشرق الأوسط تتحدد فيها أدوار القوى الإقليمية والدولية، وليس ك مجرد صفقة إيرانية- أميركية ثنائية.

اليوم غدا

المصادر: